آراء في الشعر والقصة

(٣)

نشرت (المدى الثقافي) في صفحة (ذاكرة) في عدد الاثنين الماضي والذي سبقه حلقتين من حوارات الأديب الراحل خضر الولي مع عدد من الشعراء العراقيين وهم الأساتذة محمد رضا الشبيبي وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري والتي نشرها في كتابه (آراء في الشعر والقصة) الذي نشره ببغداد عام ١٩٥٧، وننشر اليوم القسم الثالث الذي يتضمن حواري الأساذين عبد الوهاب البياتي وكاظم جواد وهو القسم الأخير من هذا الكتيب –الوثيقة الذي عبر خلاله المحاورون عن مواقفهم تجاه قضية الشعر الجديد وهو بعد في طور النشأة والتشكل والتجسيد، ويقينا أن للشعر الحديث أيامها من يقبله ويرفضه –ونحن نتحدث –عن حوالي نصف قرن مضى، ولكن هذه الآراء تؤشر صيغاً فكرية وأسلوبية خاصة بأصحابها وتشكل مؤشرات للتطور الحادث بعد حين.

(ذاكرة)

أدباء العراق ليس لهم إلمام بمفهوم الواقعية

البياتي يهاجم السياب ويقول: إن حركة تطوير شكل القصيدة بدأت في المهجر

❖دعا الكاتب الفرنسي (جان بول سارتر) زعيم المذهب الوجودي إلى اتباع المذهب الواقعي في الأدب.. فهل تجدون للدعوة نجاحاً بين أدباء العراق؟

– لم يدع (سارتر) وحده إلى اتباع المذهب الواقعي في الأدب.. بل جاءت دعوته متأخرة.. فلم خصصته بسؤالك بالدعوة إلى المذهب الواقعي دون غيره؟ وماذا تقصد من وراء هذا السؤال؟ ثم إن الدعوة إلى المذهب الواقعي تختلف باختلاف الداعين إليها.. فهناك مثلا، دعاة الواقعية الآلية، والواقعية النسبية، والواقعية الاشتراكية، وشتان بين دعاة هذه المذاهب. فأيها تقصد؟

بعد هذا لابد لي أن أذكر أن أدباء العراق أكثرهم يجهلون أو ليس لهم إلمام عميق بمفهوم الواقعية بمختلف اتجاهاتها، فالواضح أن ما استطاع تحقيقه الأدباء المذكورون هو الأخذ بجانب واحد دون غيره ألا وهو التصوير الآلي لظواهر الحياة الاجتماعية مع غض النظر عما يكتنف هذه الظواهر من أسباب ودوافع تتعلق أساساً باقتصاد وتاريخ الأمة السياسي، وكل هذه مقومات عميقة لما يبدو عليه المجتمع العراقي من وضع حاضر. ثم هناك مسألة الأسلوب أو الشكل الذي يأخذه العمل الفني وهو الذي يفرق بين الريبورتاج الصحفي وعمل الأديب أو الفنان.

❖هل ينبغي أن يتأثر الأدب العربي بالأدب الغربي قديمه وحديثه؟

– لو نظرنا إلى تاريخ آداب الأمم المختلفة، فإننا نلاحظ في سهولة ويسر التأثرات الواضحة في تراث كل من هذه الأمم.. فالحضارة الإنسانية تراث قائم بذاته شرقاً وغرباً، وهو ليس ملك أمة وحدها، هذا مع اعترافنا بأن لكل أمة طابعها القومي وخصائصها التي تعطي لها لوناً يميزها عن غيرها، إلا أن الجذر أو الجوهر للتراث الحضاري ممتد في خيط دقيق بربطها مع غيرها من الأمم. فالأدب الغربي مثلاً ابتدأ ازدهاره متأثراً بآثار العرب وغيرهم من الأمم الشرقية في عصورها الذهبية. وعلينا الآن وقد توقف نمو حضارتنا لعوامل مختلفة أن نبدأ بعث هذه الحضارة بما وصل إليه الغرب طوال هذه القرون من التطور والارتقاء، وهذه ظاهرة طبيعية لا غبار عليها ما دمنا نتمثل أعمال الغير ونحن نعتز بجوهر كيانه.

❖كيف يجب أن تكون العلاقة بين الأدب المعاصر والأدب القديم تحت ضوء التيارات الفكرية الحديثة؟

– علينا أن ندرس تراثنا الأدبي على ضوء التيارات العلمية الحديثة وأن نستخلص منه كل ما هو حي فالأدب كما نفهمه هو تعبير عن الإنسان، وما دام يتوخى الصدق فلا بد له من البقاء ومسايرة العصور المختلفة، وإن في أدبنا القديم الكثير مما يستحق الحياة.

❖هل يستطيع الأدب العربي الحديث أن يقف جنباً إلى جنب مع الآداب العالمية المعاصرة؟

– منذ الحرب العالمية الأولى وبدء عصر اليقظة اتجه الأدباء العرب إلى القضايا الإنسانية متأثرين بخطاها، وفي خلال هذه السنوات استطاع بعض الأدباء نتيجة تأثرهم وإمكاناتهم الخاصة أن ينتجوا أدباً إن لم نقل أنه يقف إلى جنب الآداب العالمية، فإنه يبشر باليوم الذي يستطيع فيه أن يشارك هذه الآداب دورها في تأدية الرسالة الإنسانية.

❖في الشعر العربي المعاصر ثورة على القواعد الكلاسيكية، وعلى القوافي وقد تعدت هذه الثورة إلى الأوزان، فهل ترى أنها ثورة ذات غنى للشعر العربي وتحرر أم إنها ثورة سطحية يراد بها هدم عبقرية الشعر العربي؟

– الشيء الذي أحب أن أوضحه لك وللآخرين، أنه ليست هناك ثورة على القواعد الكلاسيكية ولا على القوافي والأوزان، ولم يتعد الأمر سوى تطوير وتشكيل أسلوب الأداء الشعري وبنية القصيدة بحيث تتلاءم مع التعبير والمضمون. وواضح أن الشعر لم يهدف من وراء هذا التجديد إلا إلى فتح آفاق جديدة قد قصر عن بلوغها الشعر القديم بوسائله العاجزة. ثم أنك قد ذكرت في سؤالك عبارة (هدم عبقرية الشعر العربي) فماذا تقصد بها؟ ومن ذا الذي حاول؟ وهل إن الشعراء في جميع عصورهم كانوا هدامين لعبقرية شعر أمتهم؟

❖هل تأثرت بالأدب الغربي؟ بمن منهم؟ وما هو الجانب الأدبي الذي أعجبك منهم؟

– إن ثقافة الشاعر لا تتكون من تأثره بمثال معين، وإنما عليه أن يقرأ الإنتاج العالمي بمختلف ألوانه واتجاهاته، وإن أي عمل إنساني رائع ليترك أثراً في نفس الشاعر دون أي تعمد من جانبه على التأثر.. ولا تقتصر ثقافة الشاعر بقراءته وانكبابه على ما خلفه الآخرون فحسب، بل هناك أفق رحب من تجاربه الباطنية الخصبة وهي التي تلعب دورها الحاسم في صبغ إنتاجه بصبغة معينة.

❖ما الطابع العام الذي يتصف به الشعر في العراق؟ وهل للتيارات الفكرية الحديثة تأثير بين تستطيع أن تستشفه من خلال الشعر العراقي؟

– إن الشعر العراقي يميل إلى تيارات مختلفة منها القديم والحديث، ولو تركنا الذي يميل إلى القديم جانباً وأخذنا الحديث منه، لاستطعنا أن نستشف منه أن الطابع العام الذي يطبعه هو الميل إلى الواقعية والبساطة والتعبير عن التجارب الإنسانية المختلفة والاهتمام بالقضايا العربية والعالمية، وهذه صفات يتميز بها الشعر العراقي عن غيره.. ويعود هذا الطابع إلى عوامل مختلفة منها: التأثر بالتيارات الفكرية الحديثة وموقع العراق من العالم وتبنيه لكثير من القضايا السياسية وأنه يستخدم أحياناً للتنفيس عما يعتلج في الصدور من شعور مكبوت.

❖هل هناك علاقة بين الأديب وأدبه؟ بماذا تتمثل؟

– (الأسلوب هو الرجل) هذه العبارة البسيطة التي قذفها سانت بوف وهو يقف على أبدية شاطئ القرن التاسع عشر ما تزال تطل بوجهها الناصع في وجوه أولئك الذين تنكروا لها وراحوا في حمأة انهزاميتهم وتنكرهم لإنسانيتهم ولإنسانية الآخرين ينعون على الأدب ويهيلون التراب على وجوههم وهم بهذا يسترون عارهم: عار اندحارهم كمواطنين كان لهم شرف الانتساب إلى القلم في يوم ما.. إنني لأضحك من هؤلاء.. أن الشجرة لا تقف أمام الريح بلا جذور.. فكيف نفصل أو كيف يفصلون بين الأديب وأدبه؟

إن الوعاء القذر، إن البئر المسموم، إن الصحراء التي خلت من الندى والنسمة وحتى السراب كيف تنبت ورداً.. إني أبصق في وجوه هؤلاء الذين يقفون كالفزاعات في صحراء موتهم وإنهيارهم وهم يتهمون، (الرجل هو الأسلوب).

أهذا يكفي؟.. أهذا مفهوم؟

❖ما هي خطوط المدرسة الواقعية في الشعر العراقي الحديث؟

– الواقعية متهمة في هذه الأيام.. إنها متهمة من قبل هؤلاء الذين فاتهم الركب.. إنها متهمة من قبل هؤلاء الذين تحسسوا قلوبهم فلم يجدوا إلا الرماد والحجر.. إنها متهمة من قبل أولئك الذين خانوا قضية الإنسان.

هؤلاء الأدباء الفاشلون: الصبيان والمراهقون والكبار منهم لا يتركون فرصة دون أن يتهموا الواقعية.

.. وللواقعية في الشعر العراقي قصة تتمثل مأساتها في هؤلاء الذين يتهمون الواقعية من الأساس. فالشاعر بدر السياب مثلاً قد أعطى حجة للذين يتهمون الواقعية في أغلب قصائده خذ على سبيل المثال –لا الضحك – قصائده مرثية جيكور، وقصيدة ترللا وأبرهة والفيل والمشيمة وعجل سيناء بعد هذا قل لي بربك ماذا ستقول دعاة الشعر الواقعي لخصومهم؟ إنني أشعر بخجل شديد فهذه قصائد واقعية أو (ملتزمة) كما يقولون؟

إن الواقعية يا سيدي ليست في (ترللا) وإنما هي في البساطة والعفوية والأمل في مستقبل الإنسان والوضوح.. ففتش عنها في شعرنا العراقي فإن وجدتها.. فقل وجدتها! وجدتها.

❖من هم الأوائل الذين قاموا بحركة تطوير شكل القصيدة العربية الكلاسيكية؟

– قديما كانوا يقولون: (من يعلق الجرس؟) واليوم يقولون: (من علق الجرس؟) وقد علق أحد الخبثاء وهو يجيب على السؤال الأخير: بأن فلان بن علان (يدعي) أو هكذا (يدعي) الذين يشبهونه: بانه هو الذي علق الجرس ولكنه بعد يوم وليلة تحول إلى مسخ رجيم يخاف من الأجراس ومن رنينها بل أصبح من الدعاة إلى لعنها..

وإذا تركنا هذه الرواية جانباً وما تحمله من سخرية وإشارة خفية إلى الموضوع الذي نحن بصدده، عدنا إلى البحث عن الأوائل الذين علقوا الجرس أو قاموا بحركة تطوير شكل القصيدة العربية الكلاسيكية، حقاً وصدقاً لا كذباً وإدعاء:

إن العبرة ليست في التطوير أو التجديد وإنما العبرة في الإجادة والإبداع، فرب شاعر لا يزال يكتب شعره على طريقة طرفة بن العبد أو النابغة الذبياني ولكنه يزدري أكثر المجددين وخير مثال على ذلك هو شاعرنا (الجواهري)، ورب شاعر آخر يكتب شعره على أحدث ما توصلت إليه القصيدة العربية ولكنه يقف عاجزاً أمام شاعر قديم، فتطوير الشكل إذن دون المضمون لا قيمة له البتة، والتجديد أو التطوير الحق هو تطوير للشكل والمضمون معاً.

ولقد بدأت حركة تطوير الشكل في شعرنا المعاصر أول ما بدأت على ايدي شعراء المهجر في الأمريكيتين وتأثرت بها مدرسة (أبوللو) في مصر وأخذت شكلاً جدياً أكثر على يد الشاعر المصري المرحوم (خليل شيبوب) في محاولاته التي نشرها في مجلة (الرسالة) التي كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات، في وقت كان فيه جميع شعرائنا الذين يدعون السبق، في دور الفطام، وقد أعقبت محاولات خليل شيبوب، محاولات أخرى، منها محاولة الأستاذ أحمد باكثير في ترجمته الشعرية لروميو وجوليت.. وبجانب هذه المحاولات تقف أيضاً محاولات شعراء لبنان وخاصة في الفترة الواقعة بين ١٩٤٠-١٩٤٥ أما تطور المضمون فقد كان نتيجة لحركة الانبعاث العربية واستيقاظ الروح القومي، ذلك التطور الذي جرف معه المحافظين والمجددين، معاً والعبارة الأخيرة تنفي إدعاء الذين يدعون أنهم لم يطوروا الشكل وحده وإنما طوروا الشكل والمضمون معاً.

❖يتهم الشعر الحديث بأنه قد هجر الأسلوب الشعري وانحدر نحو النثر والسطحية. فما رأيك في ذلك؟

– يظهر أن الشعر الحديث قد ابتلي أو الصقت به التهم، كما ابتليت الواقعية والصقت بها تهم شتى.. ولعل السبب يعود إلى الشعراء أنفسهم لا إلى الشعر الحديث أو الواقعية.. ويؤكد قولي هذا الرجوع إلى إنتاج شعرائنا المحدثين، ولنأخذ مثلاً صديقنا الشاعر بدر شاكر السياب فأغلب قصائده التي كتبها منذ ثلاثة أعوام يظهر فيها أثر هجر الأسلوب الشعري والانحدار نحو النثر والسطحية والغموض، ومن يرجع إلى قصيدة (رؤيا فوكاي) مثلاً سيأخذه العجب حين يقرأ في تضاعيفها مثل هذه الأبيات:

ما زال طائر الحديد يذرع السماء(١)
وفي قرارة المحيط يعقد الكرى
أهداب طفلك اليتيم –حيث لا غناء
إلا صراخ (البابيون): (زادك الثرى
فازحف على الأربع... فالخفيض والعلاء
سيان والحياة كالغناء)
سيان (جنكيز) و(كولغاي)
هابيل قابيل، وبابل كشنغهاي)

إلى آخر هذا السخف والهراء، وكذلك حين نقرأ للشاعر نفسه وفي نفس القصيدة:
و(أريل) الحديد
الهدرجين واهب المياه للقفار

وكذلك حين نقرأ له في قصيدة (قافلة الضياع):
يا مكتباً للغوث في سيناء، هب للتائهين
منا وسلوى من شعر، والمشيمة للجنين

أشهد بأنني أوردت الأبيات السالفة، كما هي واردة في القصائد ومن شاء المزيد من هذا التردي والإسفاف والهذيان والنثر فليرجع إلى قصائد أخرى أمثال: مرثية جيكور التي يظهر فيها أن صديقنا قد أعجبته كلمة (ترللا) فراح يكررها بحماس واندفاع.

وكذلك قصيدة: (أغنية في شهر آب) التي هي مسخ غريب لقصيدة (أغنية العاشق) للشاعر ت. س. ليوت.

ويظهر أن تردي صديقنا في هذه الهاوية يعود إلى محاولاته في التعبير عن تجارب لم تنضج في نفسه إلى تأثره بالشعراء الذين يقرأ لهم دون هضمهم ودون اعتبار فوارق البيئة والوطن.

ومثل هذا كثير وكثير في شعر صديقنا السياب، ولعل القارئ سيأخذه العجب حين يرى أنني اقتصرت على السياب دون غيره ولكن عجبه سيزول إذا ما علم بأنني كنت اعتبر السياب في محاولاته الأولى من شعرائنا الشباب الأوائل الذين ستتحقق على أيديهم بعض القصائد الناجحة.. ولكن..

فالشعر الحديث إذن لم ينحدر نحو النثر والسطحية إلا على أيدي قلة من الشعراء الذين آذن عصرهم بالإنهيار.

(١) ادعى الشاعر السياب أن هذه الأبيات تكاد تكون حرفية للشاعرة أديث سيتويل ولدى مراجعتنا للقصيدة تبين أن الفارق بين النصين هو كالفارق بين (الحضيض والعلاء).

كاظم جواد: الحركة الشعرية التجديدية تتلمس طريقها عبر تراث هائل من الفوضى

– ولد في جنوب العراق عام ١٩٢٩
– دخل المدرسة الابتدائية ١٩٣٤ وتخرج من الدراسة الثانوية ١٩٤٥
– دخل كلية الحقوق ١٩٤٦ وتخرج فيها ١٩٥٢
– بدأ نظم العشر ١٩٤٥ وأخذ ينشر في الصحف العربية ١٩٤٧
– يجيد الإنكليزية ويترجم عنها بعض القصائد والأبحاث
– تزوج في منتصف ١٩٥٦ من الأديبة الفلسطينية سلافة حجاوي
– سيصدر ديوانه (اغنيات إلى سلافة والآخرين) قريباً، يعقبه بكتاب (دراسات نقدية) و(فلسطين والجزائر من نافذتي).

❖هل أدى النقد الأدبي دوره في تقييم الآثار الأدبية العربية المعاصرة؟

– لكي يؤدي النقد دوره في تقييم الآثار الأدبية المختلفة، لابد من توفر ثلاثة أركان... وأنا أحسب أن أولها الفنان، وثانيا الأثر الفني، وثالثها جمهور القراء.

ولكن قبل كل شيء، لابد من حركة أدبية شاملة، وخلق أدبي متنوع الأشكال، لكي ينهض نقد واع عميق. بيد أن النقد، كأداة توجيه أيضا، قد يسبق نشوء الحركات الأدبية، وذلك بتبصيره بالقيم، وتعميقه للآفاق الإنسانية، وبحثه عن أسباب الأزمات الفكرية، أو اقتراح الحلول المناسبة لها.. ومتابعة الظواهر والتطورات الاجتماعية الحادثة والمستحدثة، ومحاولاته في توضيح الأسس والمفاهيم. ومنذ مطلع القرن العشرين –عصر البطولة والمأساة –لم يتوفر للأدب العربي الحديث النقد العميق الشامل، كهذا الذي واكب المدارس والحركات الأدبية والفنية في الغرب. والذي صور خلاصة الفكر الأوروبي المعاصر في مختلف اتجاهاته، ومتعدد مذاهبه، وكشف عن موقف الإنسان النقدي لشتى القضايا والأوضاع والمسائل التي تتصل بالحياة الإنسانية المعاصرة.

وللنقد في الغرب اتجاهات تستمد خطواتها من تعدد الأشكال الأدبية، واختلاف المذاهب والآراء.. فهناك من يرون رأي الفيلسوف الألماني (هيكل) بأن الأدب مجرد تعبير عن العصر والبيئة، والجنس.. فإذا ما تعرضوا لأثر أدبي تناولوا التمييز أولاً، وشددوا على أهميته الخاصة.. وهناك من يحاول أن يطبق آراء للمفكر الإيطالي (كروتشه) المبثوثة بين دفتي كتابيه (المجمل في فلسفة الفن) و(مشاكل علم الجمال)، على الآثار الفنية.. وهناك المدرسة العاطفية التي تتلقى الأثر الفني بما يصحبه من انفصال.. شعوري، مهملة أي شيء آخر.. وهناك الدراسات الأدبية النقدية التي تعتمد على المناهج النفسية فرويد وادلر ويونج واتباعهم وهناك البحوث النقدية التي تعتمد على مفاهيم فلسفية محددة تتناول العالم، والإنسان، ومركز هذا الأخير في الكون، وتحاول أن تبث دلالات تلك المفاهيم في الأعمال الأدبية أعمال الكتاب الواقعيين كافة أعمال سارتر وكاموا وبروست واندريه جيد.. الخ.

على أن اختلاف المذاهب النقدية في الغرب لا يتجاوز مجالات تلك الحدود الثلاثة لقيام أي حركة نقدية واعية.. فهي أما أن تنصب على شخصية الفنان، أو هي تطرحه لتعنى بالآثار فقط، أو لتجمع إلى ذلك، وهذه مسألة العلاقة بين الفنان والجمهور من خلال الأثر الأدبي.

ومما لا شك فيه.. أن ثمة محاولات نقدية اعتمدت على اصول وقواعد النقد الغربي في تقييم أدبنا الحديث، الذي تفتح بدوره لآفاق إنسانية أرحب، ومجالات فكرية أوسع نتيجة لاتصالاته بتيارات الثقافة الغربية الحديثة. ولكنها محاولات فردية قاصرة على أية حال.. ذلك لأن المذاهب النقدية في الغرب نشأت في ظل ظروف تختلف عن ظروف وطننا العربي، وخلال مراحل تاريخية لم نمر بمثلها، وإن كنا نخضع لنفس قوانينها الموضوعية. بيد أن لبعض المفاهيم النقدية ولبعض مفاهيم وقيم الأدب الإنساني –قابلية النماء في تربتنا، والتغلغل في حياتنا الأدبية.

وفي أغلب الأحيان، ظل النقد يعتمد على التراث العربي في النقد، وهو تراث يتعلق حله بمفاهيم جامدة عن الشعر، ولا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال الأدبية كالقصة الفنية، والمسرحية الفنية، التي لم يعرف الأدب العربي عنهما شيئاً.

أما الجمهور، واقصد بهم القراء، فقد ظل بمنأى عن الكتاب، عن الأثر الأدبي، وذلك بسبب تفشي الجهل بين طبقات الشعب العربي الفقيرة المعدمة، واستغراق العمل في سبيل اللقمة اليومية كل أوقات الفرد، ولقد تعاونت أقسى الأوضاع التاريخية على تحطيم إنسانية الفرد العربي، وإبادة كل نزعة نقدية فيه.

ومع ذلك فقد أدت المعركة بين اتباع القديم والجديد في العراق ومصر، والدعوة إلى اتصال الأدب بالحياة، إلى تحطيم أشكال الشعر القديمة، وميلاد مضامين حية جديدة، وانبعاث حركة نقدية جديدة تواكب التجديد في الأدب، وهي ما نرجو لها أن تتسع وتستكمل جميع الشروط.

وبعد، فأنا أحسب أنني لم أجب بالقدر الكافي على هذا السؤال، الذي يحتاج إلى دراسات متشعبة. وتحليل يستوجب مجهودات كبيرة، ميدانها المؤلفات الكبيرة، لا مجرد الإجابة على سؤال!

❖ما أسس المدرسة الواقعية في الشعر الحديث في العراق؟

– يستمد الشعر الواقعي الحديث مضامينه المتجددة من الحياة المتطورة.. وهو يتخذ من الشعر الحر شكلاً جديداً ينمو مع المضمون الجديد نمواً حياً متفاعلاً.. وتبعاً للفهم الجدلي الحي للأشكال القديمة والجديدة، يحاول الشعر الواقعي الحديث أن ينتزع من جميع المذاهب والاتجاهات الشعرية أنضج ما فيها، وأكثر ما فيها قابلية على مسايرة الانتفاضات، والوثبات الفكرية الحديثة.. فقد تجد في القصيدة الواقعية الحديثة بعض ملامح الرمزية أو شيئاً من السيريالية، أو الانطباعية ولكنك مع ذلك قد تحكم بكونها قصيدة واقعية حديثة، وذلك بالرجوع إلى مضامينها وعلاقة هذه المضامين بالحياة الجديدة.

وفي مقالة لي نشرت في مجلة الآداب العدد السابع السنة الثانية 1954 قلت عن قيم الواقعية الحديثة ما يلي: (الشعر الحديث الواقعي كالأقصوصة الحديثة يستلهم قيماً فنية معينة غير جامدة، لأن الإبداع لا يتقيد. ومن هذه القيم الفعل Action فليس يكفي أن يصف الشاعر عواطفه تجاه معركة مثلاً، أو أي حدث فاعل آخر من أحداث الحياة، بل يتحتم عليه أن ينقل القارئ إلى جو الحدث، إلى عالمه الزاخر بالحركة والانفعال. وبهذا لا تبقى أهمية تذكر للناحية المكانية من حيث الوجود المادي. وبهذه الصفة اكتسبنا صفة إنسانية رفيعة لا تعرف الحدود. فسواء حدثت هذه المعركة في تونس المناضلة، أو في غيانا المستعمرة النائية الصغيرة، فالمفروض في الشاعر الواقعي الحديث أن يكون في صميمها.. ومن هنا تبرز القيمة الأخرى، وهي قيمة الحضور Presence..ومن قيم الواقعية الحديثة، وفي إتجاهاتها العالمية، اعتمادها الشخصيات بتحليلها على هيئة ملامح تومئ إلى كيان خاص، ومن قيمها أيضاً البناء الفني.. واعتمادها الأشكال الجديدة. الخ) والشعر العراقي الواقعي الحديث لا يعدم النماذج التي تمثل هذه القيم أعمق تمثيل.

❖ما هو مفهوم التجديد في الشعر الحديث؟ ومن من الأقطار العربية كانت السابقة اليه؟

– الشعر والفن بصورة عامة، شكل من أشكال الوعي الإنساني للعالم، وانعكاس مؤثر متأثر للحقائق الموضوعية في هذه الحياة.

غير إن هذا الوعي من خلال شتى الممارسات العملية لتفهم الواقع عبر مختلف المراحل والأطوار، تمثل في أشكال عدة واتجاهات متباينة. ولكنه كان أبدا على اتصال بالواقع، ولولا الأنظمة التبعية ما كان أدب الترف، والمجون، والفروسية، ولولا الثورة الصناعية ما كان الأدب الرومانتيكي. ولولا الاستعمار وما جره على العالم من مآس ودمار ما كان أدب القلق والخوف والهزيمة ولما تآمرت القيم المادية على القيم المعنوية في حياة الإنسان.. وما كان الأدب الواقعي يتجه إلى الإنسان والمجتمعات لولا وعي الناس في هذا القرن لأسباب بؤس واقعهم التعس الحزين، لولا انتفاضاتهم المتتابعة لتطوير حياتهم، ولزحزحة كل عقبة تحول دون تقدم المجتمعات. في كل عصر، في كل مرحلة تاريخية ثمة وعي، ثمة فهم للعالم. يحاول من خلاله الإنسان أن يعبر عن موقفه إزاء الكون.

غير إن مشاهد العالم، وصوره الواقعية لم تتكشف للفكر الإنساني مرة واحدة. وكان أبداً يتراجع تجاه ما يحسبه غموضاً فيها، وحينئذ يلوذ في رموز غيبية يخلقها هو، ليجد فيها نهاية رحلاته، وغاية انطلاقاته في مجاهل الكون الشاسعة.

ولكن الحياة تتطور، والوعي الإنساني يرتقي ويتطور نتيجة لتطور الحياة ذاتها. ولهذا اختلفت المواقف الفكرية باختلاف الأطوار في سلم الرقي والتقدم.

ولكن لكل طور حقائق نهائية. ومعنى ذلك أن كل طور جديد يستطيع أن يفيد من الخبرات والإنجازات التي تحققت في طور سابق وأسبق. ومن هذه النقطة نستطيع أن نتفحص شيئاً مهماً يتعلق بالفن. إن الفن مهما كان مجدداً، لابد أن يحمل في أطوائه شيئاً من آثار الماضي التي تمثلت فيها بعض المواقف الإنسانية النهائية، مواقف تخطت عصرها إلى عصر آخر.

إن مفهوم التجديد، يتحدد ويتكامل في التآزر القوي والترابط الحي بين الأشكال الجديدة، والمضامين الجديدة.. وفي العراق كانت الحركة التجديدية في الشعر تتلمس طريقها عبر تراث هائل من الفوضى.. فنازك الملائكة اعتبرت نفسها مجددة في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) لأنها حسبت أن التجديد، هو في تحرير الشكل العربي من بعض القيود والقواعد الشكلية الجامدة، فجاءت قصائدها في شكل جديد، أما مضامينها الفكرية فلا تختلف عن مضامين أي شاعر رومانتيكي آخر. وكذلك كان بدر السياب في ديوانه الرومانتيكي (أساطير) أنه يتحدث في مقدمة هذا الديوان عن الشكل الجديد، عن علاقة تفعيلاته بالضربة في الشعر الإنكليزي، ويهمل كل حديث عن المضمون.

❖هل للتيارات الفكرية الحديثة تأثير بين نستطيع أن نستشفه من خلال الشعر العراقي؟

– أكاد أجزم أن للتيارات الفكرية الحديثة تأثير على الشعر العراقي.. في الصياغة والمضمون.. إن تعبيراته الإنسانية واحتفاله بالحياة، وأشكاله الجديدة، ومضامينه الواقعية، ظواهر اكتسبها من خلال عمليات الممارسة الطويلة، والاتصال بينابيع الثقافات الإنسانية الشاملة.

❖ما رأيك بالشعر النسائي.. هل حقق شيئاً؟

– نحن نحتفل بالشعر إذا ما صدر عن المرأة، بسبب وضعها الشاذ في المجتمع العربي، وليس لأن للشعر (النسائي) طابعاً خاصاً يميزه عن الشعر (الرجولي!!) وكان من الممكن أن يتميز شعر شاعراتنا بميزة فردة لو حاولن التعبير بعمق عن وضع المرأة العربية الشاذ اللا إنساني. وباستثناء بعض قصائد الشاعرة الآنسة فدوى طوقان، لم نر محاولات مجدية في شعر الشاعرات للتعبير عن ذلك الوضع. ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن مجال المرأة الضيق في مجتمعنا، لم يسمح للكثيرات منهن بالظهور برغم قابلياتهن الطيبة. على إن التمرد على الأوضاع الجامدة والتقاليد البالية التي تحد من إمكانات المرأة، وتشل إنسانيتها، يجب أن ينبثق من داخل المرأة العربية الحديثة. لتجرب أن تصنع مصيرها بنفسها.. لأن مصيرها يعنيها هي ولوحدها.

❖متى بدأت حركة تحرير الشكل في الشعر من بعض القواعد؟

– قبل عام ١٩١٦ بدأت حركة تحرير الشكل العربي الموروث في الشعر. وقد كان لشعراء المهجر وخاصة الشاعر نسيب عريضة اليد الطولى في ذلك وأعقبت ذلك محاولات كثيرة في العديد من الأقطار العربية، وفي مصر حاول الأستاذ علي أحمد باكثير في مسرحيته المترجمة شعراً "روميو وجوليت" تحرير الشكل العربي في أكثر الأوزان الشعرية المعروفة، وقد كانت محاولته تلك جدية، عظيمة في نتائجها، حيث اعتمد عليها شعراء كثيرون، غير إن بعض الأدعياء ينكرون حقائق الأدب والتاريخ ويدعون حباً بزعامة شعرية فارغة قذرة –إنهم هم الذين بدأوا حركة التحرير تلك مستعينين بجهل القارئ العربي عن هذه الناحية، وسكوت المحاولين الحقيقيين عن الإعلان عن أنفسهم كما يفعل بعض الأدعياء.